

مُصَنَّفَاتُ الشَّيْخِ الْمُفِيدِ

(المؤرخ ١٣٢٤ هـ)

١٩



1000th ANNIVERSARY
INTERNATIONAL CONGRESS
OF (SHEIKH MOFEEED)

رِسَالَتُهُ حَوْلَ حَدِيثِ

نَحْنُ مَعَاشِرُ الْأَنْبِيَاءِ الْأَنْوَارِ

المؤتمر العالمي بمناسبة الألفية لوفاء الشيخ المفيد

رِسَالَةُ الرَّجُلِ خَدِثْ

نَحْنُ مَعَاشِرُ الْأَنْبِيَاءِ الْأَوَّلَةِ

تأليف

الْإِمَامُ الشَّيْخُ الْمُفِيدُ

مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ النُّعْمَانِ بْنِ الْمُعَلِّمِ
أَبِي عَبْدِ اللَّهِ، الْعُكْبَرِيِّ، الْبَغْدَادِيِّ

(٢٣٦-٤١٣ هـ)



رسالة حول حديث (نحن معاشر الأنبياء لا نورث)	الكتاب :
الشيخ المفيد (ره)	المؤلف :
مالك المحمودي	تحقيق :
الأولى	الطبعة :
١٤١٣ هـ ق	التاريخ :
المؤتمر العالمي لألفية الشيخ المفيد	الناشر :
مهر	المطبعة :
مؤسسة البعثة	صفّ الحروف :
٢٠٠٠	الكمية :

بسم الله الرحمن الرحيم

لحق الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم بالرفيق الأعلى مخلّفاً
من الورثة بنته الوحيدة «فاطمة الزهراء» سلام الله عليها، وزوجات عدّة.
و كانت «فدك» ممّا أفاء الله به على رسوله من قرى خيبر، نحلها الرسول
ابنته الزهراء، و كانت يدها على فدك يوم وفاة الرسول أبيها.
ولما استولى أبو بكر على أريكة الخلافة، ابتزّ «فدكاً» من فاطمة عليها
السلام، واستولى عليها، أيضاً.

فادّعت فاطمة عليها السلام على أبي بكر، و طالبت نحلة أبيها لها، و
أشهدت زوجها أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام، و ابنها الحسن و الحسين سبطي
رسول الله و سيّدي شباب أهل الجنة، و أمّ أيمن زوجة رسول الله على أن أبأها
نحلها «فدكاً».

فردّ أبو بكر دعوها، و ردّ شهاداتهم لها.

فأعادت الزهراء عليها السلام على أبي بكر دعوى ثانية، و طالبت بإرثها
من أبيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، من تلك الأرض التي كانت
لرسول الله بنصّ القرآن، لأنّها ممّا أفاء الله على رسوله.

و ردّ أبو بكر دعواها هذه أيضاً بحديث رواه هو وحده أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم قال: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة» .
فادّعى أنّ النبي لم يترك ميراثاً ولا تركة، وأنّ كلّ مَخْلَفاته صدقة .
و مع أنّ هذا خبر واحد، لم يعرفه و لم يسمعه و لم يروه يومذاك غير أبي بكر (١) .

و مع أنّ الاولى بسماعه و روايته - لو كان النبيّ صلّى الله عليه وآله قاله - هم أهل بيته و ابنته الزهراء بالأخصّ، لأنهم هم محلّ ابتلاء مؤداه، و هم بحاجة إلى معرفة حكمه، فكان على النبيّ أن يبلّغهم به، لا أن يقوله لأبي بكر الذي لا يرث من النبي شيئاً!

مع هذا فقد فرض أبو بكر رأيه على الزهراء عليها السلام و أخذ منها «فدكاً» و قد احتجّت الزهراء على أبي بكر في هذا الرأي المنافي لصريح القرآن حيث نصّ على توريث الأنبياء لورثتهم، مما يدلّ على اختلاق هذا الخبر الذي ينسب عدم الارث إلى الأنبياء .

و لقد انقضى التاريخ على ظلمه و جوره، إلّا أنّ البحوث العلمية حول هذا الخبر الواحد لم تنقُض بعد:

فالمفارقة المعروفة حتى عند المبتدئين أنّ كلمة «صدقة» هل تقرّ بالنصب على أنّها توضيح لكلمة (ما) الذي هو مفعول لقوله (لا نورث) فالمعنى: إنّنا لا نورث المتروكات التي كانت صدقةً، فغير الصدقات مما تركه النبيّ صلّى الله عليه وآله من ممتلكاته يكون إرثاً لوارثيه .

(١) و ان كانت أسانيده كثرت - بعد ذلك - حتى صار من المتواترات في عهد معاوية!!!

حديث نحن معاشر الأنبياء ٥

أو هي تقرأ بالرفع على أنها خبر لكلمة (ما) فتكون جملة (ما تركناه صدقة) مستأنفة.

و الرفع يناسب مذهب أبي بكر و العامة، و النصب يوافق رأي الشيعة الذين يلتزمون بأن الأنبياء حالهم كسائر الناس، في توريث ما يخلّفون، إلا ما كان عندهم من الصدقات، فإنها لأصحابها من المستحقين. و قد ذكر العلماء هذا الخلاف في إعراب «صدقة» فانظر الإلماع للقاضي عياض (ص ١٥١).

و خصّص الشيخ المفيد هذه الرسالة لذكر أدلة الشيعة الإمامية في رد هذا الخبر و رد الاستدلال به على نفي الإرث عن الأنبياء.

فذكر وجوها و مقاطع من النقص و الإبرام:

الأول: إن قراءة النصب توافق عموم القرآن، و قراءة الرفع تمنع من العموم فتخالف القرآن الذي جاء على العموم.

و ما يوافق ظاهر القرآن أولى بالحق مما خالفه.

الثاني: اعترض العامة على النصب، بأنه لا يصحّ، إذ معنى الحديث على ذلك أن ما كان صدقةً و تركه الميت فهو لا يورث، و هذا ليس حكماً خاصاً بالنبيّ صلّى الله عليه وآله بل الخلق كلهم محكومون بذلك، فمن ترك صدقةً لم تدخل في تركته و لم يرثه منه ذووه، فما فائدة الخبر؟

و أجاب الشيخ المفيد عن هذا الاعتراض بأن تخصيص الأنبياء بالذكر في الخبر ليس من أجل اختصاص الحكم بهم، بل هو حكم عام، و إنما ذكر الأنبياء هنا للتعبير عن أولوية الأنبياء بالعمل به، و أنهم ألزم الخلق به و أحقّ، و إن كان سائر المكلفين كذلك.

و هذا نظير قوله تعالى «إنما أنت منذر من يخشاها» مع أن النبي منذر كل الناس من يخشاها و من لا يخشاها، و لكن بما أن من يخشاها أحق بالإنذار لمكان استفادته منه، استحق ذكره لهذه الأولوية .

ثم ذكر نظائر أخر لهذه الآية، و أمثله عرفية تجرى عليها .

الثالث: إن للخبر وجهاً آخر في التفسير: و هو ان المراد أن ما تركناه صدقة لا يصبح لأولادنا، و لا يأكله أولادنا مطلقاً بأي عنوان، حتى لو صاروا فقراء و صدق عليهم عنوان المستحقين للصدقات .

فيكون هذا الحكم خاصاً بالأنبياء و أولادهم، بخلاف غير الأنبياء فإنهم لو تركوا الصدقات فهي - و ان كانت لا تدخل في الارث - إلا أن أولادهم لو أصبحوا فقراء او صدق عليهم عنوان المستحق أكلوا من الصدقات بذلك العنوان . فمعنى (لا نورث) في الخبر، اي: لا يصير الى وراثتنا على كل حال، و اطلاق كلمة (الارث) و مشتقاتها بهذا المعنى أمر متعارف في اللغة، و إن لم يكن من مخلفات الميت، كما قال الله تعالى «و أورثكم أرضهم و ديارهم» أي اوصلها اليكم، فان ذلك لم يكن بالتوارث الشرعي .

الرابع: أن للخبر لفظاً آخر، لم يرد فيه احتمال النصب، و هو:

«نحن معاصر الأنبياء لا نورث ما تركناه، فهو صدقة» و قد جعل بعض العامة هذا اللفظ دليلاً على صحة الرفع في اللفظ السابق، و بطلان التأويل المبني على النصب .

لكن الشيخ المفيد ردّه بأن الخبر على هذا اللفظ و إن كان لا يحتمل النصب، بل بالرفع فقط، إلا أن له معنى محتملاً لا يوافق تأويل العامة، و هو: أن الذي تركناه من أموالنا و حقوقنا على الآخرين، التي أسقطناها عن ذمهم و

تصدقنا بها عليهم، فلم نطالب بها في حياتنا، و لم نستنجزه قبل مماتنا، فهي صدقة على من هي في يده بعد موتنا، و لاتدخل في مخلفاتنا و لا ما نورثه لوarithنا، فليست من تركتنا، و ليس لورثتنا أن يأخذوه.

و هذا المعنى موافق لعموم القرآن و ظاهر السنة، بخلاف المعنى الذي يريده العامة من أن الأنبياء لا إرث لهم مطلقاً فهو مخالف لظاهر الآيات القرآنية الدالة على توريث الأنبياء.

و حمل السنة على وفاق القرآن أولى.

و الملاحظ:

أن الشيخ المفيد تصدى لهذا الخبر من جهة تحليله، و الرد عليه بإيراد المحتملات.

و لكنه لم يتعرض للنقض عليه بما ورد من الآيات القرآنية و السنة القطعية الدالة على بطلان مضمونه.

و كذلك لم يتعرض للرد عليه سندياً، حيث أنه لم يثبت من غير طريق أبي بكر الذي هو طرف في تلك الدعوى و للبحث في ذلك مجال تكفلت به المطولات.

وكتب

و الله ولي التوفيق.

السيد محمد رضا الحسيني

الجلالي

نسخ هذه الرسالة

- نسخ هذه الرسالة التي كانت لدينا عند التحقيق .
- ١ - نسخة مكتبة آية الله المرعشي بقم ورمزها « آ » .
 - ٢ - نسخة أخرى لتلك المكتبة ورمزها « ج » .
 - ٣ - نسخة مكتبة المجلس الشورى الاسلامي ورمزها « ب » .
 - ٤ - نسخة مصححة لمؤسسة النشر الاسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم .
 - ٥ - مطبوعة نجف .
- واليكم مصورة بعض هذه النسخ :

بسم الله الرحمن الرحيم
 قال صلى الله عليه وآله إذا سلم المصوم ما ادعوه على النبي صلى الله عليه وآله
 من قوله نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة كان
 محمداً على أن الذي تركه الأنبياء عليهم السلام صدقة فانه لا نورث
 ولم يكن محمداً على أن ما خلفه من املاكهم فهو صدقة بعضهم لا
 نورث والمحمدي على أن الماديل الاول براف لم ير القرآن
 وتاديل الناصبه مانع من العزم وما يوافق ظاهر القرآن على
 بالمحمدي ما خلفه فان قالوا هذا لا يبيع وذلك لان كل شيء تركه
 المحمدي باجمعهم صدقة وكان من صدقاتهم لم يورث ولم يبيع
 ميراثه فلا يكون حينئذ لتخصيص الانبياء عليهم السلام بذكره فاذن
 معقول في انهم ليسوا كما ذكرتم وذلك ان النبي قد يعين بتخصيصه
 البعض بالتحقيق ببيانهم اولى الناس بالعمل بمعناه والزم الخلفه

فإن كان ديناً من سواهم من المكلفين قال الله عز وجل إنما أنت
 منذر من يخشاها فإن كان منذراً لجميع النمل وقال إنما بعض
 ساجد الله من أتى به الله واليوم الآخر وإقام الصلاة وإن كان
 قد بعثها الكفار ومن هو بخلاف هذه الصفة وقال إنما المؤمنون
 الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإن كان في الكفار من إذا ذكره
 الله وجل قلبه وعاف وفي المؤمنين من يبيع ذكر الله وهو يرويه
 الله ويستعمل بضرب من الباع فلا يلحقه في الحال وجل كعبته
 حوب وهذا محسوب معروف بالعبادات وهو يقول القائل يخرج
 معاشر المسلمين لا يتم على شكرنا إن كان أهل الملل من غيرهم لا تفرق
 على ما رويته من المكات وفي المسلمين من يفر على شكره فقد روي
 بالتهبات ويقول بنية من التقيا نحن معاشر النمل لا تفرق
 بقول منها وده الناسقين وقد روي ذلك جماعة ممن ليس على النمل
 ويقول القائل نحن معاشر النمل لا نسمع خيانة الظالمين وقد
 يفعل بهم من تحرم ذلك غير القراء من العدول والناسقين
 أسأل هذا في القول السادس كثر وإنما المعنى في التحصين
 ببناءه والتقدم فيه وإنهم قدوة لمن سواهم وأمنهم في العمل بعد
 ما ذكرناه ووجبه آخر وهو أنه يجب أن يكون قوله عليه السلام
 إن جميع عنه أنه قال نحن معاشر الأنبياء لا نؤثر ما تركناه
 صدقة لا هيته أي لا يهتبه أحد من أولادنا وأقربائنا
 أن صاروا إلى حال الفقر التي صار إليها من غيرهم قلت
 لهم صدقاتهم لأن الله تعالى حرم الصدقة على أولادنا
 وأقاربهم تعظيماً لهم ومعنا لا تدارهم عن الأديان وليس ذلك
 فيمن سواهم من الناس لأن غيرنا علينا السلام إذا تركوا صدقات

ودونوا وصايا الفقراء من سائر الناس فصاروا لا يؤمنونهم
من بعدهم إلى حال الفقه كان لهم فيها حقوق ولكن من حقوق
غيرهم من الألباء قد دفع رسول الله صلى الله عليه وآله ذرئته وأهل
بنيته من بيتنا تركه من صدقاته وإن افتقر أو عجزوا عن حال
الفقير وكان الغنى في قوله لا يورث أي لا يصير من بعدنا أي
على حال وهذا أمر ينفذ في انتقال الأشياء من الأوصياء إلى
الأحياء الوصف له بأنه يورث وإن لم يوجد من بعدهم إلا
قال الله عز وجل وإن لم يكن لهم ولد يورثهم الآية
وصلى الله على من بعدهم لم ينفذ أمر في هذا الخبر
نقلنا إن النبي صلى الله عليه وآله قال نحن معاشر الأنبياء لا
نورث ما تركناه هو صدقة وهذا أيضا لا يصح فالجواب في
الذي تركناه من حقوقنا وديوننا على من هو في بعده
موتنا وليس يجوز لورثتنا أن يتصرفوا في تركنا فإنا قد عرفنا
لن هو في يد الله تركنا فقتله منه في حياتنا وليس معنا ما نأوله
المحصر والدليل على ذلك أن النبي ذكرها في فيه موافق لمصنوع
القرآن فظاهره وما أدهاه المخالف مانع لعدم القرآن مخالفت
نظايره وحمل السنة على أن العموم أولى من حملها على خلاف ذلك
والله ولي التوفيق تمت والحمد لله

رب العالمين وسلوانه

على خير خاتمة بحمد الله

الطيبين الطاهرين

المعصومين

م

بسم الله الرحمن الرحيم
 قال رضي الله عنه إذا سلم للخصم وأدعوه على النبي صلى الله عليه
 وآله من قول نحن معاشر الأنبياء لا نورث تركناه صدقة كان
 معمولاً على النبي الذي تركه الأنبياء عليهم السلام صدقة فأنه لا يورث
 ولا يكن معمولاً على إن ما حقه من أملاكهم فهو صدقة لغزهم لا
 مورث والمجته على ذلك أن التأويل الأول موافق لعموم القرآن و
 تأويل الناصبه مانع من العموم وما يوافق ظاهر القرآن أولى الحق
 ما خالفه فإن قالوا هذا لا يصح وذلك لأن كل شيء تركه للخلق لجمعهم
 صدقة وكان من صدقاتهم لم يورث ولم يصح ميراثه فلا يكون عند
 تخصيص الأنبياء عليهم السلام بدونه فائدة معقوله قبلهم ليس الأمر
 كما ذكرتم وذلك أن النبي قد نفع بتخصيص البعض للتحقيق أنهم
 أولى الناس بالعمل بمعناه وللميراث لخلق له فإن كان من آمن سواه
 من المكلفين قال الله عز وجل إنما أنت منذر من يخشاها وإن كان
 منذر للجميع العقلاء قال إنما يصبر مساجد الله من آمن بالله واليوم
 الآخر وأقام الصلاة وإن كان قد بعثها الكفار ومن هو بخلاف
 هذه الصفة وقال إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم

وإن كان في الكفار من أذا في كرامته وجعل قلبه وطاف في المؤمنين من
 يسمع ذكر الله وهو مسرور بنعم الله أو مسرور بضرب من المباح
 يلحقه في الحال وجعل ولا يعبر به جوب وهذا محسوس من رزق العباد
 وهو يتوزن القاي من معاشر المسلمين لا يتم على منكر من كان أهل
 الملأ من غيرهم لا يقرن على ما رزق من المكرات وفي المسلمين
 يقر على منكر يعقد رزقه بالشبهات ويتوزن بغيره من الفقهاء من معاشر الفقهاء
 لا يرى قبول شهادة الفاسقين وقد تروى ذلك جماعة من ليس من
 الفقهاء ويقول القاي من معاشر القرا لا سحر خالة الظالمين
 وقد يدخل معهم من غير ذلك غير القرا من العبد والفاستق
 وأما هذا في القول المعتاد من كثير وإنما المعنى في التخصيص
 بمعناه والتقدم فيه وإنما قد روي من سواه وإنما هم في التمسك
 نحو ما ذكرناه ووجه آخر وهو أنه محتمل أن يكون قوله عليه وآله
 السلام إن صوم عنارة قال من معاشر الأنبياء لا يورث ما تركه إلا صدقه
 لا يورث أي لا يستحقه أحد من أولادنا وأقربائنا وإن صاروا إلى
 حال الفقرا التي من صار إليها من غير صدقة لم يورثها الصدقة
 لأن الله تعالى حرمة الصدقة على أولاد الأنبياء وأقاربهم تعظيماً لهم
 ونفياً لآثارهم عن الأنداس وليس ذلك من سواه من الناس لأن

غير الإنشاء عليهم السلام إذا تركوا صدقات ووفوا بأوصيائهم الفقراء من
سائر الناس فصار أولادهم ولقاربهم من بعدهم إلى حال الفقر كان لهم
فيها حقوق أكثر من حقوق غيرهم من الأباة ففتح رسول الله صلى
الله عليه وآله ذريته وأهل بيته من نسل ما تركه من صدقاته وإن
افتقروا وخرجوا من حال الغنى وكان المغيث في قوله لا يورث أي لا
يصير من بعدهم إلى رد ما على حال وهذا معروف في انتقال الأشياء
من الأموات إلى الأحياء والوصف له بأنه ميراث وإن لم يوجد
جهة الأشياء قال الله عز وجل وأورثكم أرضهم وديارهم الآية فصل
وقد تعلق بعضهم بلفظ آخر في هذا الخبر فقال إن النبي صلى الله عليه
وآله قال نحن معاشر الأنبياء لا يورث ما تركناه هو صدقة وهذا
أيضا لا يصح فالوجه فيه أن الذي تركناه من حقوقنا ودوننا على
من هو في يده من بعدهم موتنا وليس يجوز لورثتنا أن يتعرضوا
لتملكه فأنادى عقوب الممن هو في يده عنه بتركنا فيصبه منه في
حياتنا وليس معناه ما بآوله للخصم والدليل على ذلك أن الذي
ذكرناه فيه موافق لمعوم القرآن فظاهرهم وما ادعاه المخالف دافع لمعوم
القرآن ومخالف لظاهرهم وحمل السنن على وفاء المعوم أولى من حملها على
خلاف ذلك والله سئل التوفيق لئلا تمت وللحمد لله رب العالمين
وصلواته على خير خلقه محمد وآله الطيبين الطاهرين وسلم

8

هو قففت كتابنا عنه عمومى آيت الله مر عشى فجننى

« قسم »

رِسَالَةُ الرَّجُلِ الْخَلِيفَةِ

نَحْنُ مَعَاشِرُ الْأَنْبِيَاءِ الْأَوَّلِينَ

تأليف

الإمام الشيخ المفيد

محمد بن محمد بن النعمان ابن المعلم

أبي عبد الله، العكبري، البغدادي

(٣٣٦ - ٤١٣ هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الشيخ المفيد رضي الله عنه : إذا سلّم للخصوم ما ادّعوه على النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم من قوله : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة »^(١) ، كان محمولاً على أنّ الذي تركه الأنبياء عليهم السّلام صدقة ، فإنّه لا يورث ، ولم يكن محمولاً على أنّ ما خلفوه من أملاكهم فهو صدقة لغيرهم^(٢) لا يورث^(٣) .

(١) رواه أحمد بن حنبل في المسند ١ / ٤ - ٦ - ٩ - ١٠ - ١٣ - ٢٥ - ٤٧ - ٤٨ - ٦٠ - ١٦٢ - ١٦٤ - ١٩١ - ٢٠٨ . ومسلم في صحيحه الجزء الخامس / ١٥٤ كتاب الجهاد ، والبخاري في صحيحه الجزء الرابع / ٧١ كتاب الجهاد ، باب فرض الخمس ، والجزء الخامس / ٢٠ كتاب الفضائل ، باب مناقب قرابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم والجزء الثامن / ١٤٩ كتاب الفرائض .

(٢) هكذا في « أ » و « ب » وفي المطبوع « بعدهم » .

(٣) ان في هذا الحديث على فرض صدوره من النبيّ صلى الله عليه وآله وسلّم احتمالين : الأوّل : أن يكون قوله : « ما تركناه » مبتدأ ، و « صدقة » خبره ، وعليه فمدلول الحديث أنّ الأنبياء جميعاً لا يورثون ، وما تركوا فهو صدقة ، وليس لورثتهم شيء بعنوان الإرث . وهذا المعنى مخالف لمعومات القرآن في الإرث .

والثاني : ان يكون قوله : « ما تركناه » مفعولاً ثانياً لقوله : « لا نورث » ومفعوله الأوّل محذوفاً ويصير حاصل المعنى على هذا الاحتمال : أنّا لا نورث أحداً ممّا تركناه بعنوان الصدقة ، وبعبارة أخرى أنّ ورثة الأنبياء لا يرثون من الصدقات التي تكون عند الأنبياء بعد وفاتهم شيئاً .

وهذا الاحتمال متعين لموافقته للكتاب كما ذكره الشيخ المفيد رحمه الله .

والحجة على ذلك أن التأويل الأول موافق لعموم القرآن^(٤) وتأويل الناصبة^(٥) مانع من العموم ، وما يوافق ظاهر القرآن أولى بالحق مما خالفه .
فإن قالوا : هذا لا يصح ، وذلك لأن كل شيء تركه الخلق بأجمعهم صدقة وكان من صدقاتهم لم يورث ولم يصح ميراثه فلا يكون حينئذٍ لتخصيص الأنبياء عليهم السلام بذكره فائدة معقولة .

قيل لهم : ليس الأمر كما ذكرتم ، وذلك أن الشيء قد يعم بتخصيص البعض للتحقيق به أنهم أولى الناس بالعمل بمعناه والزم الخلق له ، وإن كان ديناً لمن سواهم من المكلفين ، قال الله عز وجل : ﴿ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّنْ مَّخْشِيهَا ﴾^(٦) وإن كان منذراً لجميع العقلاء .

وقال : ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مِنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ ﴾^(٧) وإن كان قد يعمرها الكفار ومن هو بخلاف هذه الصفة .

وقال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾^(٨) وإن كان في الكفار من إذا ذكر الله وجل قلبه وخاف ، وفي المؤمنين من يسمع ذكر الله

(٤) سورة النساء : ٤ / ٧ ﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴾ .

سورة النساء : ٤ / ١١ ﴿ يُوَصِّيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ الْإُنثَى . . . ﴾ .

سورة الأنفال : ٨ / ٧٥ ﴿ . . . وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ .

سورة مريم : ١٩ / ٦ ﴿ يَرْثِي وَيُورِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ . . . ﴾ .

(٥) في المطبوع : وتأويل الناصبة الخصوم مانع .

(٦) سورة النازعات : ٧٩ / ٤٥ .

(٧) سورة التوبة : ٩ / ١٨ .

(٨) سورة الأنفال : ٨ / ٢ .

وهو مسرور بنعم الله أو مشغول بضرب من المباح ، فلا يلحقه في الحال وجل ولا يعتريه خوف .

وهذا محسوس معروف بالعادات وهو كقول القائل : نحن معاشر المسلمين لا نقرّ على منكر ، وإن كان أهل الملل من غيرهم لا يقرّون على ما يرونه من المنكرات ، وفي المسلمين من يقرّ على منكر يعتقد صوابه بالشبهات . وكقول فقيه من الفقهاء : نحن معاشر الفقهاء لا نرى قبول شهادة الفاسقين ، وقد ترى ذلك جماعة ممن ليس من الفقهاء .

وكقول القائل : نحن معاشر القراء لا نستجيز^(٩) خيانة الظالمين ، وقد يدخل معهم من يحرم ذلك من غير القراء من العدول والفاسقين ، وامثال هذا في القول المعتاد كثير .

وإنما المعنى في التخصيص به التحقيق بمعناه ، والتقدّم فيه ، وأنهم قدوة لمن سواهم ، وأئمتهم في العمل نحو ما ذكرناه .

وجه آخر وهو أنه يحتمل أن يكون قوله عليه وآله السّلام - إن صحّ عنه - أنه قال : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة لا يورث » أي لا يستحقه أحد من أولادنا وأقربائنا وإن صاروا إلى حال الفقراء التي من صار إليها من غيرهم حلّت لهم صدقات أهليهم ، لأنّ الله تعالى حرم الصدقة على أولاد الأنبياء وأقاربهم تعظيماً لهم ورفعاً لأقدارهم عن

(٩) في المطبوع : لا نستحلّ .

الأدناس^(١) ، وليس ذلك في من سواهم من الناس لأنّ غير الأنبياء عليهم السلام إذا تركوا صدقات ووقوفاً ووصاياا للفقراء من سائر الناس فصار أولادهم وأقاربهم من بعدهم إلى حال الفقر كان لهم فيها حقوق أوكد من حقوق غيرهم من الأبعد .

(١٠) قال الشيخ الطبرسي رحمه الله : اختلف العلماء في كيفية الخمس ومن يستحقه على اقوال احدها : ما ذهب اليه اصحابنا وهو أنّ الخمس يقسم على ستة اسهم ، فسهم لله وسهم للرسول وهذان السهمان مع سهم ذي القربى للامام القائم مقام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وسهم ليتامى آل محمد وسهم لمساكينهم وسهم لأبناء سبيلهم لا يشركهم في ذلك غيرهم لأنّ الله سبحانه حرم عليهم الصدقات لكونها أوساخ الناس وعوضهم من ذلك الخمس . مجمع البيان ٢ / ٥٤٣ . وراجع وسائل الشيعة للشيخ الحرّ العاملي ج ٦ ص ٣٥٥ - ٣٦٠ فقيه عدّة روايات في هذا الموضوع وإليك بعضها :

١ - عن سليم بن قيس قال سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : « نحن والله الذين عنى الله بذى القربى والذين قرنهم الله بنفسه وبنبيه فقال : ﴿ وما آفأ الله على رسوله من أهل القرى قلّله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين ﴾ منا خاصّة ولم يجعل لنا سهماً في الصدقة أكرم الله نبيه وأكرمنا أن يطعمنا أوساخ ما في ايدي الناس » (وسائل الشيعة ٦ / ٣٥٧) .

٢ - عن العبد الصالح قال : وإنّا جعل الله هذا الخمس لهم خاصّة دون مساكين الناس وابناء سبيلهم عوضاً لهم من صدقات الناس تنزيهاً من الله لهم لقربتهم برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكرامة من الله لهم عن أوساخ الناس (الوسائل ٦ / ٣٥٨) . وفي الدر المنثور للسيوطي ٣ / ١٨٦ :

عن عبد الرحمان بن أبي ليل قال : سألت عليّاً عليه السلام كيف كان صنع أبي بكر وعمر في الخمس نصيبكم . . .

ثمّ انشأ علي عليه السلام يحدث فقال : « ان الله حرم الصدقة على رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فعوضه سهماً من الخمس عوضاً مما حرم عليه وحرّمها على أهل بيته خاصّة دون امته فضرب لهم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عوضاً ممّا حرّم عليهم . وفي الدر المنثور رواية اخرى في هذا الموضوع ايضاً فراجع ٣ / ١٨٦ .

فمنع رسول الله صلى الله عليه واله وسلم ذريته وأهل بيته من نيل ما تركه من صدقاته وإن افتقروا وخرجوا من حال الغنى ، وكان المعنى في قوله « لا نورث » أي لا يصير من بعدنا إلى ورثتنا على حال ، وهذا معروف في انتقال الأشياء من الأموات إلى الأحياء ، والوصف له بأنه ميراث وإن لم يوجد من جهة الإرث^(١١). قال الله عز وجل: ﴿وَأُورِثُكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ﴾^(١٢)

فصل :

وقد تعلق بعضهم بلفظ آخر في هذا الخبر فقال : انّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه هو صدقة »^(١٣) وهذا أيضاً لا يصح^(*).

فالوجه فيه : أنّ الذي تركناه من حقوقنا وديوننا (فلم نطالب في حياتنا ونستنجزه قبل مماتنا فهو صدقة)^(١٤) على من هو في يده من بعد موتنا وليس يجوز لورثتنا^(١٥) أن يتعرضوا لتمليكهم فأنّا قد عفونا لمن هو في يده عنه بتركنا قبضه منه في حياتنا ، وليس معناه ما تأوله الخصوم .
والدليل على ذلك : أنّ الذي ذكرناه فيه موافق لعموم القرآن وظاهره^(١٦) .

(١١) في المطبوع : وإن لم يكن بسبب الإرث . وفي المخطوطات : وإن لم يوجد من جهة الإرث . وما أثبتناه هو الصحيح ظاهراً .

(١٢) سورة الأحزاب : ٣٣ / ٢٧ .

(١٣) هذا يوافق ما في سنن أبي داود ٣ / ١٤٤ - ١٤٥ .

(*) كذا ولعل الصحيح : إن صحّ .

(١٤) ما بين القوسين اخذناه من المطبوع .

(١٥) في المطبوع : وليس يجدر لذريتنا ان يتعرضوا لتملكه .

(١٦) في المطبوع : لعموم القرآن وظاهر السنة .

وما ادّعاه المخالف دافع لعموم القرآن ومخالف لظاهره ، وحمل السنة
على وفاق العموم أولى من حمله على خلاف ذلك
والله وليّ التوفيق
والحمد لله رب العالمين وصلواته على خير خلقه محمد وآله الطيبين
الطاهرين المعصومين .

تكميل

وبعد تمام هذه الرسالة الثمينة ننقل بعض كلمات الأعلام حول هذا الحديث
تتميماً للفائدة وتبييناً للحق .
اللهم أرنا الحق حقاً حتّى نتّبعه وارنا الباطل باطلاً حتّى نجتنبه .

قال القرطبي في تفسيره :

ويحتمل قوله عليه السّلام : « إنا معاشر الأنبياء لا نورث » ان يريد
ان ذلك من فعل الأنبياء وسيرتهم وان كان فيهم من ورث ماله كـ « زكريا »
على أشهر الأقوال فيه .
وهذا كما تقول : انا معاشر المسلمين انما شغلنا العبادة ، والمراد انّ
ذلك فعل الأكثر ، ومنه ما حكى سيبويه : انا معاشر العرب أقرى الناس
للضيف^(١٧) .

قال الفخر الرازي في تفسير الآية ١١ من سورة النساء :

الموضع الرابع من تخصيصات هذه الآية ما هو مذهب أكثر المجتهدين أنّ الأنبياء عليهم السّلام لا يورثون ، والشّيعَة خالفوا فيه .

روي أنّ فاطمة عليها السّلام لما طلبت الميراث ومنعوها منه ، احتجوا بقوله عليه الصلاة والسّلام « نحن معاصر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة » فعند هذا احتجت فاطمة عليها السّلام بعموم قوله : ﴿ للذكر مثل حظ الانثيين ﴾ وكأنها اشارت الى أنّ عموم القرآن لا يجوز تخصيصه بخبر واحد .

ثمّ أنّ الشّيعَة قالوا : بتقدير أن يجوز تخصيص عموم القرآن بخبر واحد الا انه غير جائز ههنا ، وبيانه من ثلاثة اوجه :

احدها : أنّه على خلاف قوله تعالى حكاية عن زكريا عليه السّلام :

﴿ يرثني ويرث من آل يعقوب ﴾ ^(١٨) وقوله تعالى : ﴿ وورث سليمان داود ﴾ ^(١٩)

قالوا ولا يمكن حمل ذلك على وراثة العلم والدين لأنّ ذلك لا يكون وراثة في الحقيقة ، بل يكون كسباً جديداً مبتدأ ، أنّما التوريث لا يتحقق الاّ في المال على سبيل الحقيقة .

وثانيها : أنّ المحتاج الى معرفة هذه المسألة ما كان الاّ فاطمة وعليّ

والعبّاس وهؤلاء كانوا من أكابر الزهاد والعلماء وأهل الدّين ، وأمّا ابو بكر فإنّه ما كان محتاجاً الى معرفة هذه المسألة البتة ، لأنّه ما كان ممّن يخطر بباله أنّه يرث من الرّسول عليه الصلاة والسّلام فكيف يليق بالرّسول عليه الصلاة

(١٨) سورة مريم : ١٩ / ٦ .

(١٩) سورة النمل ٢٧ / ١٦ .

والسّلام أن يبلغ هذه المسألة الى من لا حاجة به اليها ولا يبلغها الى من له الى معرفتها أشد الحاجة ؟ .

وثالثها : يحتمل أن قوله « ما تركناه صدقة صلة » « لانورث » والتقدير :

أن الشيء الذي تركناه صدقة ، فذلك الشيء لا يورث

فان قيل : فعلى هذا التقدير لا يبقى للرسول خاصية في ذلك .

قلنا : بل تبقى الخاصية لاحتمال أن الأنبياء اذا عزموا على التصديق

بشيء فبمجرد العزم يخرج ذلك عن ملكهم ولا يرثه وارث عنهم ، وهذا

المعنى مفقود في حق غيرهم .^(٢٠)

قال العلامة الحلي رحمه الله :

إن أبا بكر منع فاطمة إرثها فقالت : يا ابن أبي قحافة أترث أباك ولا

أرث أبي !! واحتج عليها برواية تفرد هو بها عن جميع المسلمين ، مع قلة

رواياته وقلة علمه ، وكونه الغريم لأن الصدقة تحل عليه .

فقال لها : إن النبي قال : « نحن معاصر الأنبياء لا نورث ما تركناه

صدقة » ، والقرآن مخالف لذلك فإن صريحه يقتضي دخول النبي صلى الله

عليه وآله وسلّم فيه بقوله تعالى : ﴿ يوصيكم الله في أولادكم ﴾^(٢١) .

وقد نص على أن الأنبياء يورثون ، فقال تعالى : ﴿ وورث سليمان

داود ﴾^(٢٢) .

(٢٠) التفسير الكبير ٩ / ٢١٠ .

(٢١) سورة النساء : ٤ / ١١ .

(٢٢) سورة النمل : ٢٧ / ١٦ .

وقال عن زكريا : ﴿ إِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِي مِنْ وِرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا يَرِثُنِي وَيَرِثْ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ﴾ (٢٣) ، وناقض فعله أيضاً هذه الرواية ، لأن أمير المؤمنين والعباس ، اختلفا في بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وسيفه وعمامته وحكم بها ميراثاً لأمر المؤمنين ، ولو كانت صدقة لما حلت على عليّ عليه السلام ، وكان يجب على أبي بكر انتزاعها منه ، ولكان أهل البيت الذين حكى الله تعالى عنهم بأنه طهرهم تطهيراً مرتكبين ما لا يجوز ، نعوذ بالله من هذه المقالات الردية والاعتقادات الفاسدة .

واخذ فدكا من فاطمة وقد وهبها إياها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يصدقها ، مع أن الله قد طهرها وزكاها واستعان بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الدعاء على الكفار على ما حكى الله تعالى وأمره بذلك فقال تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ﴾ (٢٤) فكيف يأمره الله تعالى بالاستعانة - وهو سيد المرسلين - بابنته وهي كاذبة في دعواها غاصبة لمال غيرها نعوذ بالله من ذلك .

فجاءت بأمير المؤمنين عليه السلام فشهد لها فلم يقبل شهادته ، قال : إنه يجر إلى نفسه ، وهذا من قلة معرفته بالأحكام ، ومع أن الله تعالى قد نص في آية المباهلة أنه نفس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فكيف يليق بمن هو بهذه المنزلة واستعان به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأمر الله في الدعاء يوم المباهلة أن يشهد بالباطل ويكذب ويغصب المسلمين أموالهم نعوذ بالله من هذه المقالة .

(٢٣) سورة مريم : ١٩ / ٥ و ٦ .

(٢٤) سورة آل عمران : ٣ / ٦١ .

وشهد لها الحسان عليهما السلام فرد شهادتهما وقال : هذان ابناك لا أقبل شهادتهما لأنها يجران نفعاً بشهادتهما ، وهذا من قلة معرفته بالأحكام أيضاً ، مع أن الله قد أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالاستعانة بدعائهما يوم المباهلة فقال : ﴿ أبناءنا وأبناءكم ﴾ .

وحكم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنها سيدا شباب أهل الجنة ، فكيف يجامع هذا شهادتهما بالزور والكذب وغضب المسلمين حقهم نعوذ بالله من ذلك .

ثم جاءت بأم أيمن فقال : إمراة لا يقبل قولها مع أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « أم أيمن من أهل الجنة » ، فعند ذلك غضبت عليه وعلى صاحبه وحلفت أن لا تكلمه ولا صاحبه ، حتى تلقى أباهما وتشكو إليه فلما حضرتها الوفاة أوصت أن تدفن ليلاً ولا يدع أحداً منهم يصلي عليها .

وقد رووا جميعاً أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « إن الله يغضب لغضبك ويغضب لك » .

قال العلامة الأميني في الغدير :

لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال ذلك (أي حديث نحن معاشر...) لوجب أن يفشي به إلى آله وذويه الذين يدعون الوراثة منه ليقطع معاذيرهم في ذلك بالتمسك بعمومات الإرث من أي القرآن الكريم والسنة الشريفة ، فلا يكون هناك صخبٌ وحوارٌ تتعقبهما محنٌ ، ولا تموت بضعته الطاهرة وهي واجدة على أصحاب أبيها ويكون ذلك كله مثاراً للبغضاء والعداء في الأجيال المتعاقبة بين أشياع كلٍّ من الفريقين ، وقد بُعث هو صلى الله عليه وآله وسلم لكسح تلك المعرات وعقد الإخاء بين الأمم والأفراد .

ألم يكن صلى الله عليه وآله وسلم على بصيرة مما يحدث بعده من الفتن الناشئة من عدم إيقاف أهله وذويه على هذا الحكم المختص به صلى الله عليه وآله وسلم المخصص لشرعة الإرث ؟ حاشاه . وعنده علم المنايا والبلايا والقضايا والفتن والملاحم .

وهل ترى أن دعوى الصديق الأكبر أمير المؤمنين وحليته الصديقة الكبرى - صلوات الله عليهما وآلهما - على أبي بكر ما استولت عليه يده مما تركه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من ماله كانت بعد علم وتصديق منهما بتلك السنة المزعومة صفحاً منها عنها لاقتناء حطام الدنيا ؟ أو كانت عن جهل منهما بما جاء به أبو بكر ؟ نحن نقدّس ساحتهما [أخذاً بالكتاب والسنة] عن علم بسنة ثابتة والصفح عنها ، وعن جهل يربكهما في الميزان .

ولماذا يصدّق أبو بكر في دعواه الشاذة عن الكتاب والسنة ، فيما لا يعلم إلا من قبل ورثته صلى الله عليه وآله وسلم ووصيه الذي هتف صلى الله عليه وآله وسلم به وبوصايته من بدء دعوته في الأندية والمجتمعات ؟ ! . ولم تكن أذن واعية لدعوى الصديقة وزوجها ؟

قال ابن أبي الحديد في شرحه على النهج :

وسألت علي بن الفارقيّ مدرس المدرسة الغربية ببغداد فقلت له : أكانت فاطمة صادقة ؟ .

قال : نعم .

قلت : فلم لم يدفع إليها أبو بكر فداً وهي عنده صادقة ؟ .

فتبسّم ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسنًا مع ناموسه وحرمة وقلة دعابته .

قال : لو اعطاها اليوم فذك بمجرد دعواها لجاءت إليه غداً وأدعت

لزوجها الخلافة وزحزحته عن مقامه ولم يكن يمكنه الاعتذار والموافقة بشيء ،

لأنه قد أسجل على نفسه أنها صادقة فيما تدّعي كائناً ما كان من غير حاجة الى بيّنة ولا شهود.

وهذا كلام صحيح وان كان اخرج مخرج الدّعابة والهزل^(٢٥).

قال السيّد شرف الدين في كتاب « النص والاجتهاد » .

واليك كلمة في هذا الموضوع لعيلم المنصورة الأستاذ محمود ابورية المصري المعاصر ، قال : بقي امر لابدّ أن نقول فيه كلمة صريحة : ذلك هو موقف أبي بكر من فاطمة - رضي الله عنها - بنت رسول الله (ص) ، وما فعل معها في ميراث أبيها ، لأننا اذا سلّمنا بأنّ خبر الآحاد الظني يخصّص الكتاب القطعي ، وانه قد ثبت أنّ النبيّ (صلى الله عليه واله وسلم) قد قال «أنّه لا يورث» وأنّه لا تخصّيص في عموم هذا الخبر، فإنّ ابا بكر كان يسعه أن يعطي فاطمة - رضي الله عنها - بعض تركة أبيها (صلى الله عليه واله وسلم) كأن يخصّها بفدك وهذا من حقه الذي لا يعارضه فيه أحد ، اذ يجوز للخليفة أن يخصّ من يشاء بما شاء .

قال : وقد خصّ هو نفسه الزبير بن العوام ومحمد بن مسلمة وغيرهما ببعض متروكات النبيّ .

على أنّ فدكاً هذه التي منعها ابو بكر لم تلبث أن اقطعها الخليفة عثمان لمروان - هذا كلامه بنصه^(٢٦) - .

(٢٥) شرح نهج البلاغة ١٦ / ٢٨٤ .

(٢٦) النص والاجتهاد ص ٧٠ طبع مطبعة سيد الشهداء .

وراجع الشافي للسيد المرتضى ٤ / ٥٧ - ١٠٢ ودلائل الصدق للمظفر ٣ / ٤٠ - ٧٧ ففي هذين الكتابين بحث مستوفى حول حديث نحن معاصر الأنبياء وإرث فاطمة سلام الله عليها .

